

القرآن الكريم

الأستاذ الدكتور / صلاح عبد الوكيل

معيد كلية أصول الدين والعلوم

القرآن الكريم هو : كلام الله تعالى الذي نزل به الروح الأمين على محمد ﷺ لينقذ البشرية من الظلمات إلى النور ، ومن الضلال إلى الهدى . ومن النسي إلى الرشد ، ومن الظلم إلى العدل قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من ابغض رجوائه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه ويهديهم إلى صراط مستقيم . (البقرة : ١٧ - ١٩)

ولنعظم هذا القرآن أنزه المولى على رسوله ﷺ في أعظم ليلة خلقها الباري سبحانه وتعالى ألا وهي ليلة القدر المباركة . بسم الله الرحمن الرحيم إنا أنزلناه في ليلة القدر وما أعذرك ما ليلة القدر ليلة القدر خبر من ألف شهر تنزل الملائكة والروح فيها وأذن ربه من كل أمر سلام هي حتى مطلع الفجر .

وأنزه أيضاً في أعظم شهر ألا وهو شهر رمضان العظيم . (شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن هدى للناس وبينات من الهدى والفرقان) . هل قلب الفضل في ورسول ألا وهو محمد بن عبد الله بن عبد المطلب عليه الصلاة والسلام .

والقرآن معجزة الإسلام الخالدة (قل الله اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً) الإسراء ٨٨

ولم يجد القرآن الكريم في كل وجه من الوجوه المختلفة . منها : فصاحة ألفاظه ، وبلاغته أساليبه (كتاب أسكت آياته ثم فصلت من لدن حكيم خبير) هود آية ١

ومنها : القساق آياتهم على كثرتها (ولو كان من عند غير الله لوجدوا فيه اختلافا كثيرا) سورة النساء آية ٨٢ ..

ومنها : أنه أخير بوقائع ماضية ، ووقائع مستقبلية وتصفى ذلك ، تلك من أنباء الغيب ترجعها إليك ، ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا ، سورة هود آية ٤١ ..

ومنها : أنه يؤتى النفوس ، الله نزل أحسن الحديث كتابا ، مثابها مثالي تقصر عليه جهود الذين يخشون ربهم ثم تلين جهودهم والرحيم الله ذكر الله ، ذلك هدى الله يهدي به من يشاء ومن يضلل الله فإله من عاد ، سورة الزمر آية ٢٣ ..

ولا حية القرآن الكريم أعلن النبي ﷺ قوله فيأرواه القومى من على وحى الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :
« يشكون فن كقطع القيسل المظلم ، فقلت : وما المخرج منها
بارسول الله ؟

قال : كتاب الله ، فيه نأ ما قبلكم ، وخبر ما بعدكم ، وحكم ما بينكم ، هو الفصل ليس بالهزل من تركه من جبار قصمه الله ، ومن ابتغى الهدى في غيره أضله الله ، وهو حبل الله المتين ، وهو الذ كر الحكيم ، وهو الصراط المستقيم ، هو الذى لا يزيغ به الأهواء ، ولا تلتبس به الألسنة ولا يفصح منه الغمائم ، ولا يخلق من كثرة الرد ، ولا تنلظى صحابه . هو الذى لم تلتبه الجن إذ سمعته أن قالوا : إنا سمعنا قرآنا عجيبا ، يهدي إلى الرشاد فأمتنا به عن قال به صدق ومن حكم به عدل ومن حمل به أجر ، ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم . . ولم يستطع العرب رغم قلة معارضتهم أن يسروا أحاسيسهم فقد سمع الوليد بن المغيرة بهذا القرآن فأعجب به أهد الإحباب وأهلنا صريحة متحدة لأن جهل حيننا ناقضه حول القرآن :

« وماذا أقول ؟ فواقه ما ليكم وجل أعلم بالقهر مني . ولا برحمة .
ولا بقصيدة ولا بأشعار الجن واقه ما يقبه الذي تقول : - يعني القرآن -
شيئاً من هذا وواقه إن لقوله الذي يقول حلاوة . وإن عليه الطلاوة .
وأنه مثير أعلاه يفتق أسفله . وأنه يملو ولا يعلى عليه . وأنه ليحطم
ما تحته » (١) .

ولفضل القرآن الكريم ليس على العرب وحدهم . فإن العالم أجمع جني
كرم الثمرات من هذا الكتاب العظيم ، ذلك أن تعاليمه أحاديث بناء الإنسانية
من جديد وأزالت ما خلفته القرون الأولى من هوج في عقولها وقزاعها .

والوجهة التي اتساق إليها العالم من ظهور القرآن هي التي أنهت المنطق
الحديث وحررت أساليب المعرفة ، وأمكننت من السياحة على المكون .

ولولا ما شرع القرآن من طرق النظر الصحيح والعمل الطيب لظل العالم
يتدحرج مع خرافات الرومان والفرس حتى يبلغ الحضيض .

ولكنه الله برحمته وبره أنقذ البشرية من هذا المصير المظلم وذلك بتدوّل
القرآن على قلب النبي ﷺ (٢) .

« إن هذا القرآن يهدي إلى أفروم ويبشر المؤمنين الذين يعملون
الصالحات أن لهم أجر كبيراً ، وأن الذين لا يؤمنون بالآخرة اعتدنا لهم
عذاباً أليماً » سورة الإسراء . .

« الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجاً . فلما لبسنا
بأساً شديداً من لدنّه ويبشر المؤمنين الذين يعملون الصالحات أن لهم أجراً »

(١) الإتقان في علوم القرآن للسيوطي ج ٢ ص ٧١١

(٢) الإسلام والعلاقات المسئلة للمبني الفرائد ص ٨٥

حسناً . ما كتبت فيه أبداً . وينذر الذين قالوا اتخذ الله ولداً : ما لهم به علم ولا لآبائهم كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذباً . سورة
الأنبياء آية ١ - ٥ .

ولقد أوصى الله تعالى بتلاوة كلامه ، والمسل به ، وتطبيق أحكامه .
« إن الذين يقولون كتاب الله ، وأقاموا الصلاة ، وآتوا الزكاة ، بما رزقناهم
سراً وعملانية يرجون تجارة لن تبور ، ليوفيقهم الله أجراءهم ويزيدهم من
فضله ، إنه خفيور شكور ، فاطر آية ٢٩ - ٣٠ »

كما أوصى بذلك النبي صلى الله عليه وسلم فيما روى عن عبيد الله بن مسعود
قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : (من قرأ حرفاً من كتاب الله
فله به حسنة ، والحسنة بعشرة أمثالها لا أقول ألم حرف ، ولكن ألف
حرف ، ولام حرف ، وميم حرف) (١) .

ولقد تلقى أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم هذا القرآن بهشت شديد
حتى كانت له ثمرة في حياتهم . (ومن المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله
عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلاً) سورة الأحزاب
آية ٢٣

ومن الرجال الذين منعمهم القرآن الكريم وأصبحوا صادة بعد أن كانوا
هبيداً بلال بن رباح ، ونجيب بن الأرت ، وصيب الرومي ، وسلمان
الفارسي ... وفهر هذا كثير من صادة العرب الذين منعمهم القرآن لتحمل
المسئولية . وعلى سبيل المثال لا على سبيل الحصر فيما قاله تعالى :
(ألم . أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمناً وهم لا يفتنون . ولقد فتنا
الذين من قبلهم فليعلمن الله الذين صدقوا وليعلمن الكاذبين) سورة العنكبوت
آية ١ - ٢

(١) الذهب والذهب للنظري ٢٣ ص ٣

من القمي قال : دخل خباب بن الأزد على عمر بن الخطاب فأجلسه على متكته وقال : ما على الأرض أحد أحق بهذا المجلس من هذا إلا رجل واحد ، قال له خباب : من هو يا أمير المؤمنين؟ قال : بلال ، فقال له خباب : يا أمير المؤمنين ما هو بأحق مني . إن بلالا كان له في المشركين من ينميه الله به ولم يكن لي أحد يمنعني فقد رأيتني يوماً أخذوني وأوثقوني وأرأى ثم سلقوني فيما ثم وضع رجل رجله على صدري فما أتيت الأرض إلا بظهي قال : ثم كفف من ظهري فإذا هو قد برص (١) .

ولقد بلغ من ضعف القرآن لهم أن وصلوا إلى درجة الإهتار .

(والذين كفروا الدلو والإيمان من قبلهم يحبون من هاجر إليهم ولا يجدون في صدورهم حاجة مما أوتوا ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) سورة الممتحنة آية ٩

ولقد قال النبي صلى الله عليه وسلم فيما رواه أبو موسى الأشعري : إن الأشعريين إذا أرملوا في الفزو أو قل طعام عيالهم بالمدينة جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد ثم اقتسموه بينهم في إثاء واحد وأنا منهم (٢) .

ولكن خلف من بعدم خلف انصرفوا عن كتاب الله وسنة رسوله ففهموا بذلك الضياع والفقار والفساد .

وصدق الله العظيم إذ يقول : « فلما يأتيتكم مني هدى فمن اتبع هداي فلا يضل ولا يفنى ومن أعرض عن ذكري فإن له معيضة حسنة » وتتمه يوم القيامة أمي قال رب لم حشرتني أمي وعندك كفى بصها قال كذلك

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد ٣٠ ص ١٦٥

(٢) صحيح الإمام مسلم ٧ ص ١٧١

أنتك آياتنا قد بينها وكذلك اليوم نفى وكذلك نغزى من أسرف ولم يؤمن
بآيات وبه . ولعذاب الآخرة أشد وأبقى . (١)

ولهذا جاء : ضمن الله لمن قرأ القرآن ، وعمل فيه ألا يضل في الدنيا
ولا يفنى في الآخرة — وتلا الآية (٢) .

وقال تعالى أيضاً : « ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس
ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون » سورة الروم آية ٤١

يقول العالم المسلم ابن كثير : أى أن الفسـاد في الزروع والثمار بسبب
المعاصي .

وقال أبو العالية : من عصى الله في الأرض فقد ألحد في الأرض لأن
صلاح الأرض والسماء بالطاعة ، ولقد جاء في الحديث الذي رواه أبو داود :
« ألحد يقام في الأرض أحسب إلى أهلها من أن يمحطوا لربهم صباحاً ، والمذهب
في هذا أن الحدود إذا ألحدت أنكف الناس أو أكثرهم أو كثير منهم عن
معامل المهرمات ، وإذا تركت المعاصي كان سبباً في حصول البركات من
السماء والأرض .

ولهذا ثبت في الصحيحين أن الفاجر إذا مات يسترى منه العباد والبلاء
والفسح والدواب (٣) .

ولا عجب في ذلك فقد قال تعالى في محكم تنويه : « ولو أن أهل القرى
آمنوا بالله لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض ولكن كذبوا
فاخذلناهم بما كانوا يكسبون » سورة الاحزاب .

(١) سورة طه آية ١٢٣ - ١٢٧

(٢) تفسير القرطبي ١١ ص ٢٥٨

(٣) تفسير ابن كثير ٢ ص ٤٣٥

وعلى هذا فإذا أراد المسلمون خاصة والناس عامة أن يظهروا في أمن
وسلام وصحة وكرامة وسعادة فعليهم بالرجوع فورا إلى كتاب الله وسنة
رسوله عليه الصلاة والسلام .

قال تعالى : - يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي
الأمر منكم فإن تنازعتم في شئ فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله
واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا . سورة النساء آية ٥١ .

قال الإمام ابن كثير في تفسيره عطف قوله تعالى : - فإن تنازعتم في شئ
فردوه إلى الله والرسول - قال مجاهد وغير واحد من السلف : أى إلى كتاب
الله وسنة رسوله ، وهذا أمر من الله عز وجل بأن كل شئ تنازع فيه من
أصول الدين وفروعه أن يرد للتنازع في ذلك إلى الكتاب والسنة كما قال
تعالى : - إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ... أى ردوا الخصومات
والجهالات إلى كتاب الله وسنة رسوله فتجاكروا إليهما فيها فحسب بينكم ، إن
كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ... فدل ذلك على أن من لم يتحاكم في محل
النزاع إلى الكتاب والسنة ولا يرجع إليهما في ذلك فليس مؤمنا بالله
ولا باليوم الآخر .

وقوله تعالى : ذلك خير ... أى اتحاكم إلى كتاب الله وسنة رسوله
عليه الصلاة والسلام والرجوع إليهما في كل النزاع خير وأحسن تأويلا
أى أحسن حائلة ومألا (١) .

طريقة القرآن في معرفة الله تعالى

لقد وجه القرآن الكريم أذهان الناس وجوانسهم وذلك بالتأكيد على النظر في الكون وما فيه — ليصل بذلك إلى الإيمان الصحيح — مستفاداً في ذلك كله من الفطرة السليمة . والفطرة الإنسانية التي تستقر الضبط أمام القوى الحائلة التي تهددها أو تحبسها في الطبيعة ، وقد تكون هذه الفطرة قائمة على حفظ من ضرر يصيب المرء أو منفعة كبيرة تحصل له أو تنقذ خطره من في الطبيعة أو تأمل واقع مخلوقات الله في الكون . يقول القرآن منها على هذا المعنى (فأقم وجهك للدين حليفاً ، فطرة الله التي فطر الناس عليها لا تبديل لخلق الله ، ذلك الدين القيم ولكن أكثر الناس لا يطبقون) .
الروم ٣٠ .

ويخاطب القرآن هذه الفطرة منها لما (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لا يقرن) الطور من ٢٥/٣٦ :
ويقول أيضاً (وإذا من الإنسان الضمير دهانا لجنبه أوقاعدا أوقائما فلا كلفنا عنه حذر مر كان لم يدهنا له حذر منه) يونس ١٢ .

هذه الفطرة السليمة هي التي تتوجه إلى الكون بروح مفتوحة تكشف ما فيه من قصد وتصميم وإبداع فتؤمن أن من وراءه مبدعاً خالقاً عظيماً . وقد بين القرآن هذا الذي يحدث بقوله (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولى الأبصار) آل عمران ١٩٠ .

(إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفق التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها ونفخ في الرياح والسحاب للسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون) البقرة ١٦٤ .

(ومن آياته الليل والنهار والشمس والقمر لالسجدوا للشمس ولا القمر
واسجدوا لله الذي خلقهن) . فصل ٣٧ .

(فلا أقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم لو تعلمون عظيم) . الواقعة :
٧٩ : ٧٥ .

فن هذه الآيات وآيات كثيرة أخرى يذخر بها القرآن الكريم لنظم
الطريقة الصحيحة الوصول إلى إثبات الله وسرافته ، هذه الطريقة تتلخص
في النظر في الكون وما فيه من أفلاك تدور في نظام عجيب ، وفي الطبيعة
الحية إلى الكائنات الحيوانية والنباتية ، وأخيراً في الإنسان وتستطيع أن
تسير خطوات بقدر ما يسمح لنا المجال مع الإجمال الإجمالي إلى خلقه
وتنظيمه للأكون ،

لو أننا لاحظنا ملاحظة حليمة تدبره عالم الفلك وما فيه من نجوم تدور
حول نفسها أو سيادة حول غيرها وقدرة هذه النجوم وأحجامها
وأبعادها لا نستطيع أن نفهم قوة تعالى (فلا أقسم بمواقع النجوم وأنه لقسم
لو تعلمون عظيم) .

فأعداد النجوم تصل في ضخامة إلى حد لا يستطيع العقل البشري أن
يتصوره لأنها تتجاوز آلاف الملايين ، وأحجام النجوم هائلة جداً لا يستطيع
مقاييسنا التي نستعملها في كوكبنا الأرضي أن نقيس بها وأن نقارن سرعتها
بين حجم الأرض وحجم أفلاك أخرى كالشمس والجوزاء ، وهي تتجاوز
حجم الأرض بملايين المرات لتدل على صدق ما نقول .

أما أبعاد النجوم والمسافات التي تفصل فيما بينها فاتها تصل من العظمة
إلى حد لا نستطيع أن نقدره إلا بوحدة قياسية جديدة تتناسب مع ضخامة
هذه الأبعاد .

فقد أطلع على أن تكون الثانية الضوئية أى المسافة التى قطعها الضوء فى ثانية واحدة وحدة القياس فى أبعاد النجوم، وإذا علمنا أن الضوء يقطع فى ثانية واحدة، (١٨٦) ألف ميل وعلمنا أن البعد بين بعض النجوم يصل إلى ملايين السنين الضوئية فإننا ندرك مقدار ضخامة هذا الكون وعظمته .

هذه الأفلاك اسير فى نظام لا يحتمل أو يضطرب آلاف السنين بل ملايين السنين وهذا يدلنا على أن الكون لا يمكن أن يكون نتيجة الصدفة بل هو مخلوق من خالق عظيم لا يحيط عقول البشر بقدره وإيجاره .

وإذا انتقلنا إلى الحياة فى الكائنات الحية واختلافها عن بعضها وأجناسها وأشكالها المتعددة فإننا نصيب إلى معرفتنا وإعجاز الخلق معرفة جديدة كما يمكن لنا أن نتصور معنى الآية الكريمة (إن الله فائق الحب والنعيم يخرج الحى من الميت ويخرج الميت من الحى ذلكم الله فإنى تؤفكون) فالحيوانات التى لا يقع لعدد أجناسها حصر والتى تخرج من النطفة وأشكال النبات التى لا يتصور عددها وتخرج من أرض واحدة وتسقى من ماء واحد، كل ذلك ليس دليل على التدبير والقصد والنظام (وفى الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض فى الأكل إنا فى ذلك لآيات لقوم يعقلون) .

أما الإنسان فإنه أكثر هذه الكائنات إعجازا فى الخلق ودلالة على قدرته الله ووجوده، ولو أننا حاولنا التعرف على طبيعة اختلاف تشكُّون الجسم والجفسي وسبب تنوع الاستعدادات الوراثية والمكتسبة لرصدنا أنها تعود إلى الخلايا الجنسية .

هذه نظرية سريعة فى الدلالة العقلية المسيحية على وجود الله وقدرته .

كما أوحى لنا إليها القرآن الكريم ، ولابد لنا بعد ذلك من أن نستعرض أهم
النتائج التي تترتب على هذا الإيمان بالله القادر الخالق الذي ينفذ ما يشاء
ويعلم ما يريد : هذا الإيمان الذي كان نتيجة لمعرفة الله من وحيه وذلك بسبب
توجيه القرآن الكريم للبشرية .

النتائج التي تترتب على الإيمان بالله وتوحيده كثيرة وهامة في سلوك
الأفراد والمجتمعات . ومن أهمها :

١ - تحرير الإنسان من عبودية غير الله والخطيئة لغيره :

لذلك يقول القرآن (قل يا أهل الكتاب تصالوا إلى كلمة سواء بيننا
وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا) . آل عمران ٣٠ .

وحق يكون التحرر من الخطيئة لغير الله كاملا لأن القرآن ينفذ فيه
القداسة من أي فرد من الناس حتى ولو كان رسولا نبيا (وما محمد إلا رسول
قد خلت من قبله الرسل) . آل عمران ١٤٨ .

وقد خاطبه القرآن بقوله (ليس لك من الأمر شيء أو يتوب عليهم
أو يعذبهم) آل عمران ١٢٨ فالملك كله له والأمر كله له .

٢ - تحرير النفس الإنسانية من سيطرة الغر والحرف منه : - لأن
لو أنك لقيت بمنصرتهم لا يملكون خبروا ولا نفعا (ولا تدع من دون الله
مالا ينفعك ولا يضرك فإن طعت فإنك إذن من الضالين ، وإن يعصك الله
ينصر فلا تكلف له إلا هو ان يردك بخير فلا واد لفعله يصيب به من
يهاء من عباده وهو الغفور الرحيم) يوسف ١٠٧ .

(ولا يملكون لأنفسهم ضرا ولا نفعا ولا يملكون موتا ولا حياة
ولا ظفورا) الفرقان ٣ .

وإذا تحروث النفس من الخوف من إقنه فأنها تتحرر من الذل والمبودية والخضوع لغير الله والالسان قد بدل لغيره خروفا على حياته لورده أبو جليلا للنفقة ودفعه للمضرة وقد بين القرآن أن المنفعة والمضرة بيد الله كما أن الحياة والموت والرزق بأمره (أيها تكوفروا بذكر الموت ولو كنتم في بروج مشيدة) الساء ٧٨ (وما كان لنفس أن تموت إلا بأذن الله كتابا مؤجلا) آل عمران ١٤٠ (قل لو كنتم في يديكم أبرار الذين كتب عليهم القتل إلى مضاجعهم) آل عمران ١٥٤ .

والرزق أيضا كالصوت والحياة مر بيد الله لا يهاب الالسان عليه من أحد سواء (الله يسقط الرزق لمن يشاء من عباده) المشكوك ٩٢ / (وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها سورة ٩ .

٣ - ثم أن عقيدة التوحيد والايان بالله تملأ النفس طمأنينة وسكينة وثقة بالله وزرع من قوى الإنسان الممنوعة وتقطع عنه اليأس والفتور والهمس متقاتل أبدا والتي من نفسه ومن نصر الله (هو الذي أول السكينة في قلوب المزمعين ليزدادوا أيمانا مع أيمانهم بالفتح ٤٠ (أن الذين آمنوا وعملوا الصالحات يسبغونهم بهم بايمانهم) يونس ٩٠ .

٤ - وأخيرا فإن هذه العقيدة تفسر شجر الإنسان بقطا مراتب في كل ما يصل أو ينسحر لأنه يعلم أن الله لا يفضي عليه قهره في الأرض ولا في السماء وأنه يعلم خائفة الاعين وما تخفى الصدور (١) .

(١) أعضاء هل ثقافة والنظم الإسلامية محاضرات بالاشتراك مع الدكتور دشتي هرج .

التعريف بالسنة ووجوب العمل بها

إن إهتمام الصحابة والتابعين... بالسنة النبوية الشريفة لا يقل عن إهتمامهم بالقرآن الكريم . ذلك لأن السنة هي المصدر الثاني لشريعة الإسلام وعلى هذا كان المحرم على السنة من المستشرقين والمثبرين وغيرهم من أعداء الإسلام لا يقل خطراً عن المحرم على القرآن الكريم .

إذا كان الأمر كذلك فلا بد من معرفة شيء من تاريخ السنة لتفهم أهمية الإهتمام بها والحفاظ عليها من الصحابة والتابعين وغيرهم .

السنة :

هي في عرف المهتمين بهذا الفن عبارة عن ما أضيف إلى النبي ﷺ ولو حكماً من قول أو فعل أو تقرير أو صلاة أو نحو ذلك مما يتصل بهداية الناس إلى ما فيه سعادتهم في الدارين .

ومثل هذا أو قريب منه الخديدي ، والخبر ، والآثر . . . والسنة أهم (١) قال تعالى : يا أيها الذين آمنوا استمعوا لله وللرسول إذا دعاكم لما يحْيِيكُمْ (٢) . وقال ﷺ : نضر الله وجه امرئ سمع مقالتي فحفظها وواظمها فإياها كما سمعها لرب مبلغ أوعى من سامع (٣) .

وقال أيضاً : تركت لكم أمرين لن تضلوا ما تمسكتم بهما ، كتاب الله وسنة رسول الله : أي أني أوتيت القرآن ومثله معه ، إلا يؤشرك رجل شعبان

(١) قانون الزوية عند المحدثين للأستاذين محمد سيدتنا ، والصيد محمد الحكيم للطبعة الأولى . . .

(٢) سورة الاتفاق آية رقم ٢٤

(٣) رواه أبو داود والترمذي عن زيد بن ثابت .

على أريسته يقول : عليكم بهذا القرآن فلا وجدتم فيه من حلال فأحله
وما وجدتم فيه من حرام فحرره ، إلا وأن ما حرم رسول الله كما
حرم الله (١) .

وقال بعض العلماء : (٢)

حدثت وشفت بالمحدث مسامى فحدثت عن أمراء أهل مسامى
له ما أحل مكرره الذي يحرر ويذهب في مذاق المذامع
بماحه نفس الذي أمته وبلغت كل مطالب ومسامى

وقد بينت السنة النبوية كيف كان الرسول الألى يعلم الأمة ويريه
على مخرج سليم وتربية فريضة .. أنى إليه يوماً قى من قرين قائل له : يا رسول
الله الذى فى الزنا ، فأقبل القوم عليه وزجروه فقالوا له : .. فقال أدله
هنا منه قريباً ... فقال وأضبه لأمك : قال : لا والله جعل الله ذلك : قال :
ولا الناس يصبرونه لأهائهم . قال : أكتبه لا يشك : قال : لا والله يا رسول
الله جعلنى الله فداك . قال : ولا الناس يصبرونه ليهائهم — ثم ذكر له رسول
الله أحسنه وبهته وحالته ، وفى كل ذلك يقول الفنى مقالته : لا والله يا رسول
الله جعلنى الله فداك — قال : فوضع يده عليه وقال : اللهم أغفر ذنبه وطهر
لله ، وحسن فرجه ، قال الراوى ثم يكن بعد ذلك الفنى يلتفت إلى شيء (٣) .
وإذا كان عليه السلام هو السلام حريصاً على تنفيذهم أمراً كان الصواب به وهو هم
أيضاً حريصاً على تلافى هذا العلم ، قال أمير المؤمنين همر بن الصناب كنس

(١) رواه أبو داود والترمذى وابن ماجه عن المقدم بن معد يكره

(٢) قانون الرواية عن المحدثين ص ٩ ، ١١

(٣) مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين الألبانى — طبع القدس
بالقاهرة ١٣٥٣ هـ عن أبي أمامة الباهلى ج ١ ص ١٢٩ . رجاءه رجال الصحيح
وقد رواه الطبرانى فى الكبير

أنا وجار لي من الانصار في بني أمية بن زيد ، وهي من عوالي المدينة وكنا
تتناوب النزول على رسول الله . . ينزل يوما وأنزل يوما ، فإذا جئته ينزل
ذلك اليوم من الوحي وغيره . وإذا نزل فعل مثل ذلك (١) . . فكان الواحد
منهم يثنى في أخيه ولا يكذبه ولا يدورن ما الكذب .

وهكذا حتى لقي الرسول ربه والقرآن قد نبت في الصدور والسطور
أما السنة فقد لبست في الصدور لنبي النبي ﷺ عن كتابتها في أول الامر
خروفا من الاتباع بالقرآن الكريم مثل قوله ﷺ : « لا تكتبوا عني شيئا
إلا القرآن ومن كتب شيئا فليحطه » (٢) .

الهم الا القليل بالنسبة لما قاله النبي ﷺ . مثل ما حدث لابي شاه
اليماني وقوله ﷺ في شأنه : « اكتبوا لابي شاه » (٣) .

وما كان من أمر الرجل الانصاري الذي كان يجلس الى رسول الله ﷺ
فيسمع منه الحديث فيحبه ولا يحفظه فتشكا ذلك الى الرسول . . فقال
(استمن يمينك وأوماً بيده الى الخط) (٤) .

وهكذا أخذت السنة تكثر كتابتها خاصة في آخر البعثة النبوية . وبهذه
وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام وقعت أحداث جسيمة في الامة الاسلامية
مثل حروب الردة ومقتل سيدنا عثمان ، ومعركة الجمل وصفين ، وظهور
الحرارج ، والفتنة . الخ .

(١) فتح الباب لابن حجر العسقلاني ج ١ ص ١٩٥

(٢) رواه مسلم في صحيحه عن أبي سعيد الخدري

(٣) رواه البخاري ومسلم في صحيحهما .

(٤) أعلام الهدى للشيخ محمد أبو شهبة ص ١٧ والحديث الشريف ،

رواه الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه .

وما نتج عنه انقفاء الوضع في السنة المطهرة . يقول الدكتور السباهي :
كانت سنة أربعين من الهجرة هي الحد الفاصل بين صفاء السنة وخطوبها
من الكذب والوضع ، وبين التزويد فيها واتخاذها وسيلة لخدمة الأغراض
السياسية والاقتضامات الداخلية ، بعد أن اتخذ الخلاف بين حل ومماوية
شكلا حرييا سالت به دماء وأذهقت عنه أرواح ، وبعد أن انقسم المسلمون
لثلاث طوائف متعددة إلى آخر ما قال مبينا الأمور التي أدت إلى الوضع في
السنة مثل : الخلافات السياسية والخلافات الفقهية والكلامية والجهل بالدين
مع الرغبة في الخير والتعصب للسلوك والامراء بما يوافق أهواءهم .

ليس هذا فقط بل أن تساهل حكام المسلمين مع الوضاهين في السنة
فجسمهم على الحق في تحليل المسلمين ، وخطبهم المصدق بالكذب ، تعالى
الله عما يقولون علوا كبيرا . (١) أما من حركة الوضع وأثرها السيئ في
المجتمع الإسلامي وما يتصل بذلك ليس هنا مجاله ، المهم أن العلماء اقتصروا
تصدوا للدفاع عن السنة المطهرة وتنفذتها من القوائب التي لحقت بها مما
جعلهم يتشددون في أخذ الحديث ويظهر هذا من قول ابن سيرين : لم يكونوا
يسألون عن الاستناد لها وقت الفتنة قالوا انصروا لها رجالكم ، فينظر إلى
أهل السنة فيؤخذ حديثهم وينظر إلى أهل البدعة فلا يؤخذ حديثهم إلى آخر
ما قيل في ذلك بما هو مبسوط في موضعه (٢) :

هذه السنة النبوية الشريفة التي نعتقنا عنها يجب اتباعها وذلك بالأدلة
القرآنية والأحاديث النبوية فيما يلي :

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي للدكتور مصطفى السباهي

٨٨ - ٧٩

(٢) التهادي الحديث شرح اختصار علوم الحديث لابن كثير تأليف
الاستاذ أحمد شاكر ٨٠ وما بعدها ومقدمة صحيح مسلم

أدلة القرآن الكريم :

- (أ) قال تعالى : وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا .
 (ب) وقال تعالى : وما كان لمؤمن ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن يكون لهم الخيرة من أمرهم . ومن يعص الله ورسوله فقد ضلّ لاهل مباهة .
 (ج) وقال تعالى : فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكوك لها شجر يبتهم ثم لا يجحدوا في أنفسهم حرجا مما قضيت ويسلووا تسلياً .
 (د) وقال تعالى : يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فان تنازعتم في شئ فمنه فارجعوه إلى الله والرسول ان كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلاً

أدلة السنة النبوية :

- (أ) قال رسول الله ﷺ في خطبة الوداع : (ان الشيطان له بشران يهد بأذنكم ولكن رضى الله أن يطاع فيما سوى ذلك بما تشقون من أحوالكم فاحذروا ، ان تركت فبكم ما أن اقتصمتم به ان اختلفوا أهدا كتاب الله ورضي .
 (ب) وقال ﷺ : فيما رواه البخاري عن أبي هريرة : كل أمر يدخل الجنة إلا من أبي . قالوا : يا رسول الله ومن أبي ؟ .
 قال : من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى .
 (ج) وقال عليه الصلاة والسلام فيما رواه أبو داود والترمذي عن زيد ابن ثابت : (نصر الله وجه امرئ سمع مقالتي فلفظها ورجعها ، فأدأها كما سمعها ، غريب مبلغ أو من سامع

وغلغل من أدلة القرآن الكريم ، والسنة النبوية الشريفة على وجوب

الحصل بالسنة فهناك الكثير من أدلة الفقهاء الدالة على ذلك أيضا ومن أمثلة ذلك ما ذكره الامام الشافعي في كتابه الرسالة يقول الامام الشافعي رضي الله عنه : وقال تبارك وتعالى : « أن الصلاة كانت على المؤمنين كتابا موقوتا » .

وقال وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة .

وقال : واتموا الحج والعمرة لله .

ثم بين على لسان رسوله - ﷺ - هذه ما فرض من الصلوات ومواقعها ، وسننها ، وعدد ركعاتها ، والزكاة ومواقعها وكيف عمل الحج ، والعمرة .

وقد كان رسول الله ﷺ يبين كيفية الصلاة بقوله وعمله ، كان يبين أوقاتها وأركانها وعدد ركعاتها وافتتاحها وتزليق حركتها بعد الافتتاح ويقول ﷺ : صلوا كما رأيتموني أصلي .

وبين أيضا ﷺ : مناسك الحج : أركانه وواجباته وسننه ويقول : « خلدوا من مناسككم » .

ال غير ذلك من الامور التي تحتاج الى بيان من انتهى ﷺ .

الدكتور

مصطفى سيد بيومي

مهد كلية أصول الدين واللاهوت